الدور التربوي والتعليمي للأسرة والمدرسة في العراق القديم

The educational role of the family and the school in ancient Iraq

م. د. عامر ناجي حسين
الكلية التربوية المفتوحة- مركز واسط الدراسي
Dr .Amer Naji Hussein
The Open Educational College
Wasit Study Centre
amier.kut@gmail.com

ملخص البحث:
يتناول البحث (الدور التربوي والتعليمي للأسرة والمدرسة في العراق القديم) دور كل من الأسرة والمدرسة في عملية التربية والتعليم، والبحث يسلط الضوء على مسألة أي منهما أقدم في ممارسة كلا الأمرين، ومواطن التقاء كلا الممارستين عندهما، إلى جانب التأكيد على أن دور الأسرة لم يقتصر على التربية بمفهومها العام من توفير متطلبات حياة الطفل منذ ولادته إلى حين بلوغه ونشأته على القيم المجتمعية السائدة؛ بل شملت أمر تعليم الحرف التي لها أهمية لتوفير المتطلبات اللازمة لمعيشته واسرته معاً، وقد توصل البحث إلى نتائج عدة منها أن الدور التربوي والتعليمي كان أمراً تضافرت على تحقيقه كل من الأسرة والمدرسة، وأن الغايات النفعية للحصول على وظيفة كان لها أبلغ الأثر في أن يرسل الآباء ابنائهم إلى المدرسة.

الكلمات المفتاحية: الأسرة، المدرسة، التربوي، التعليمي.

The educational role of the family and the school in ancient Iraq

Abstract:
The research deals with (The educational role of the family and the school in ancient Iraq) the role of both the family and the school in the process of education and education, and the research sheds light on the issue of which of them is older in the practice of both matters, and the points of convergence of both practices in

issue of teaching trades that are important to provide the necessary requirements for his and his family's living together. their children to school.
Keywords: family, school, education, education.

them, in addition to emphasizing that the role of the family was not limited Education in its general sense of providing the requirements of a child's life from birth until reaching puberty and upbringing on prevailing societal values; Rather, it included the

المقدمة:

دور كل من الأسرة والمدرسة في عملية تنشئة الأبناء لم يقتصر على جانب معين دون الآخر، فالأسرة قبل وجود المدرسة لا بد وأنها قد مارست دوراً تعليمياً لدرجة أن الحضارة العراقية في عهودها التاريخية لم تكن وليدة المدرسة لما تسنى معرفته من أثر كبير للأسرة في عملية التعلم، وهنا لا يقتصر دور التعلم على مسألة القراءة والكتابة؛ إذ إن مجال التعلم واسع يشمل كل صنوف المهن والحرف من زراعة وصناعة الفخار والبناء والأمور الفنية البحتة كالموسيقى وغيرها، وبالمقابل لم يقتصر دور المدرسة على تعلم القراءة والكتابة؛ فالتربية كانت حاضرة فيها، ولتناول هذا الموضوع تم تقسيمه إلى عدة فقرات هي تباعاً الأسرة والمدرسة، والدور التربوي التعليمي المشترك للأسرة والمدرسة وتم تقسيمه إلى فقرات هي الدور التربوي التعليمي للأسرة قبل نشوء المدرسة وخارجها، والدور التربوي المشترك، ومتابعة انتظام الدوام المدرسي، ومتابعة تعليم الابناء، وتعليم الحرف، وصولاً إلى نتائج البحث.

أولاً: الاسرة والمدرسة

كانت الاسرة الوحدة الاساسية في العراق القديم، تتألف من الزوج والزوجة وابنائهم وقد عُدَ الابن المتبنى[١] منهم[٢]، بموجب الالتزامات الاخلاقية والمصالح المشتركة التي تجمع بين الأب والأبن المتبنى[٣]، وفي بلاد آشور كانت الأسرة أبوية قانونياً واجتماعياً، وللزوج اتخاذ أمة لغرض أنجاب الأطفال في حالة عقم زوجته على أن يعد الأطفال المولودين أطفالاً للزوجة الرسمية[٤]، والاسرة العراقية القديمة متماسكة كما تؤكد ذلك القوانين والوثائق الأخرى المكتشفة[٥]، وإن الابن يشكل عند الابوين في العراقي القديم حالة ديمومة لوجوديتهما بعد مماتهما فالأبن يحمل اسم والديه وهو مما يشكل حالة اطمئنان لهما[٦].

أما المدرسة فقد عُرفت بتسمية (اي–دبا/ é dub ba) عند السومريين وبتسمية (بيت طبي/ bît ṭuppi) عند الاكديين[٧]، وفي

آشور الدليل الموجود يشير إلى وجود مدارس لتعليم الكتابة كما يشير إلى ذلك نص فيه ذكر لمجموعة تُعرف بـ(كتبة كالِزِ) دون وجود دليل على أنواع أخرى من المدارس[٨]، وأن المدرسة في العراق القديم كان ظهورها ملازماً لظهور الكتابة وتطورها[٩]، وكانت المعابد في العراق القديم مكرسة للتعليم أسوة بالعبادة إذ يحصل ابناء الذوات والمكرسين لخدمة المعبد على التعليم فيها[١٠]، وعُدت مدرسة المعبد مكاناً مقدساً حتى أن المعلم والتلميذ فيها كان حافي القدمين[١١]، وهيكلية المدرسة تضم المدير ويعرف بالسومرية بتسمية (اومّيا/Ummia) ووكيل المدير (ادّا ادبا/adda edubba) ومعلم للحساب (دبشار نشد/dubshar nishid)[١٢]، وكان هناك (الأخ الكبير/šeš gal) وهو طالب متقدم في دراسته لذا يعمل على مساعدة التلاميذ الجدد في تحضير الواجبات اليومية[١٣]، ويعرف التلميذ في المدرسة السومرية بـ"ابن المدرسة"[١٤] (DUMU É.DUB.BA) وقد ترجمت إلى الاكدية (mãr bít tuppãti) وهذه التسمية تعبر عن طبيعة نظرة العراقي القديم للمدرسة والتي لا تزال شائعة إلى الآن[١٥]، وأفضل من تحدث عن حياة المدرسة معلم سومري وصلتنا مذكراته المكتوبة في لوح طيني يعود تاريخه إلى الألف الثاني قبل الميلاد[١٦]: "أين ذهبت أيها التلميذ منذ نعومة أظفارك؟، ذهبت إلى بيت اللوحات، وماذا فعلت في بيت اللوحات؟، استظهرتُ لوحتي، تناولت طعام الفطور، أعددتُ لوحةً جديدة، ملأتها بالكتابة وأنهيتها، ثم حُدّدَ لي ما عليَّ استظهاره، أعطيت تمريناً جديداً على الكتابة، وبنهاية الفصل، عدت إلى بيتي، حيث وجدت أبي، جالساً حدّثت أبي عن تمرين الكتابة، ثم تلوت عليه لوحتي فأمتلأ قلبه بهجة"[١٧].

اعتقد العراقيون القدماء ومنهم السومريون أن نقل ميراث المعارف والتجارب والعلوم من جيل إلى جيل يتم عبر وسيلة عملية تتمثل بالمدرسة والتعليم[١٨]، وجاء توصيف المدرسة بحسب نص سومري بأنها متزنة كالبطة تشبيهاً بهذا الطائر الذي يتصف باتزانه عند الوقوف وعند المشي واستقراره عند النوم[١٩]، وكان لصعوبة تعلم الكتابة سبباً في ظهور المدارس كونها كتابة تتعدد فيها العلامات والمعاني والقيم الصوتية والعلامات الإضافية اللازمة لتوضيح معاني وألفاظ الكلمات المدونة[٢٠]، وكانت الكتابة لغرض تدوين مدخولات ومصروفات المعبد[٢١]، ولكون الكتابة المسمارية صعبة كان أمر كتابتها على الطين ومن ثم تجفيفه أمراً قد وجد له تكيفاً عجيباً[٢٢]، وأن عملية التحوير للأشكال الهندسية وتحوير التماثيل للأشكال الآدمية والحيوانية عن الأصل الطبيعي لهذه الأشكال في العصر الحجري

الحديث في العراق من بين بوادر نشوء التدوين في المراحل التاريخية اللاحقة[٢٣]، وكانت الكتابة السومرية اختراعاً حقيقياً وليس تكييفاً للصور بمعنى أن الصور كانت تدل على معانٍ مفهومة[٢٤]، وكانت للمدرسة أهمية كبيرة في التطوير الحاصل على الكتابة المسمارية ونشرها إلى جانب اهميتها في التأليف والاستنساخ[٢٥]، وان عقلية التدريس والتعليم كان من بين ما فكر به بعض الكتبة منذ زمن موغل في القدم يعود إلى ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد[٢٦]، وهناك نوعان من المدارس الأولى لتعلم القراءة والكتابة، والثانية وتسمى بيت الحكمة وهي مخصصة لتعلم الرياضيات والطب والفلك والسحر واللغة[٢٧]، وكان ما يتعلمه المتعلم في المدارس العراقية القديمة منذ نشأتها وحتى نهاية العصور القديمة في العراق تتدرج ضمن عناوين رئيسية هي العلوم الدينية والأدبية والعلوم الرياضية والاجتماعية والعقلية وعلوم اخرى كالسحر وتفسير الاحلام والتنجيم والزراعة[٢٨]، وفي العهود التاريخية المتأخرة في العراق القديم استمر وجود المدارس اما مستقلة أو تابعة للمعبد إلى جانب استمرار التعليم في البيوت الخاصة أو في مدارس مجاورة لبيوت السكن[٢٩]، الدراسة في البيوت الخاصة أما للتعويض عن عدم تمكن هؤلاء التلاميذ التسجيل في مدارس المعبد أو المدارس المرتبطة بالقصر نتيجة اسباب؛ منها اكتمال العدد اللازم، او نتيجة عملية استبعاد من التعلم لسبب ما؛ كأن يكون نتيجة لفعل ديني أو سياسي، أو نتيجة رغبة بعض الأهالي أن يقتصر تعليم ابنائهم على القراءة والكتابة دون غيرها من العلوم التي تدرس في المدارس العائدة للمعبد أو القصر لغرض تهيئة ولدهم لممارسة مهنة والده كاتباً أو تاجراً هو بحاجة إلى تدوين الأمور المتعلقة بالبيع والشراء.

إنَ أول حالة تعلم يمكننا القول بوجودها هي تلك التي تتعلق بإيجاد الكتابة الصورية أو الكتابة الهجائية فكلاهما لم يبرزا إلى الوجود في وقت واحد وليست كذلك هي من ابتداع شخص واحد في الأولى وكذلك شخص واحد في الثانية بل كانت نتيجة تراكم خبرات عدداً لا يمكن التكهن به من الأشخاص وهذا الأمر نتاج تطور بطيء استمر لآلاف السنين[٣٠].

ثانياً: الدور التربوي التعليمي المشترك للأسرة والمدرسة

كان للأسرة والمدرسة دور تربوي وتعليمي مشترك، ولا نقصد بالمشترك فيما يتعلق بالمشتركات بينهما من حيث الدور التربوي لكليهما مشتركين، أو في تأدية الواجبات المدرسية والحث عليها؛ وإنما المقصود هنا مسألة اداء كل منهما دوراً في التربية والتعليم

منفردين أو مشتركين، ويمكن تتبع ذلك من خلال الفقرات الآتية:

١- الدور التربوي التعليمي للأسرة قبل نشوء المدرسة وخارجها

كان للأسرة دور تربوي وتعليمي يسبق المدرسة حتماً؛ كون الأسرة سابقة من حيث نشؤها على المدرسة، ويمكن تصور ذلك من خلال دراسة حياة الإنسان منذ نشؤه وما تطلبه ذلك؛ فكان موضوع الاهتمام بالري لأهميته قد ادى بالسومريين إلى أن تتمثل جهودهم الهندسية الفنية العظيمة بحفر شبكة من القنوات المخصصة لإرواء الاراضي الزراعية إلى جانب تسهيل المواصلات والنقل بين مختلف بقاع البلاد[٣١]، وإن الري كان سبيلاً لبلوغ الحضارة وإن تنظيم الري ومشاريعه الزراعية أمر يسير جنباً إلى جنب مع الحضارة وكان للعراق دوراً في نشوء أول الحضارات بفضل وجود أقدم نظام للري فيه، والذي قاد بدوره إلى أن يكون القانون[٣٢]؛ لضمان الاستخدام الأمثل لقنوات الري[٣٣]، وأن الري علم يبدأ بمسح الأرض ثم تنظيم الري فيها[٣٤]، وأن استيطان السومريين في جنوب العراق أياً كانت النظرية التي قيلت عن أصولهم فهم ولابد استقروا قبل بدء اكتشافهم للكتابة وبالنتيجة كان لوجودهم وقيامهم بزراعة الأرض عن طريق قنوات ري ابتكروها قد صاحبه عملية تعليم مستمرة تتناقل من الآباء إلى الأبناء[٣٥]، وبغض النظر عمن يرى أن الزراعة في العراق بدأت في شماله بالاعتماد على الري بمياه الأمطار، ثمة دور تعليمي عن الكيفية التي تتم بها السيطرة على المياه لأجل تحقيق زراعة ناجحة.

شهد العصر الحجري الحديث المعدني (١٠٠٠٠-٣٥٠٠ ق. م) بوادر قيام الزراعة التي تركت أثراً على استقرار السكان في بيوت وترك حالة الترحال[٣٦]، ومن الأدلة على وجود الري والزراعة في فترة سبقت الكتابة أن الفخار الذي تم الحصول عليه من خلال الحفريات في جنوب العراق والعائد إلى فترة (٣٥٠٠ ق. م) وجدت فيه آثاراً للحبوب ودلت التحريات عن تساوي مقدار محصول الحنطة مع محصول الشعير في تلك الفترة وأن هناك انخفاضاً كبيراً في خصوبة التربة مما أدى إلى التحول لزراعة الشعير وأن معدل انتاجية الأرض أنخفض من (١٠٠٠) كور[٣٧] لكل هكتار في عام (٢٤٠٠ ق. م) إلى (٦٧٣٠) كور في عام (٢١٠٠ ق. م)[٣٨]، ويعود تاريخ بدء الزراعة في جنوب العراق إلى عام (٤٠٠٠ ق. م) [٣٩]، ومن المؤكد حصول تطور انتاجي زراعي كبير في العصر الشبيه بالكتابي (٣٥٠٠ ق. م)[٤٠]، وهذا ولا بد ناشئ عن التعليم الذي مارسته الأسر الفلاحية وهو سابق للتعليم المدرس.

كان للزيادة في مقادير الانتاج الزراعي اثرها في ان تترك أثرها على المجتمع في الازمان اللاحقة كالذي حصل على مجتمع العصر الشبيه بالكتابي إذ ان بوادر الطبقية الاجتماعية ونشوء الدولة قد اتضحت بدءاً منه[٤١]، وأن اقتصار التعليم على ابناء ذوي الجاه والاغنياء[٤٢]، يعطينا دليلاً عن مقدار تأثير الطبقية على التعليم، وإن كانت هذه الطبقية تتجلى في الجوانب الإمكانيات المادية الاقتصادية[٤٣].

ولم تكن جميع الكتابات الأدبية السومرية قد وضعت لأغراض التعليم في المدرسة بل لا بد وأن منها كان للإنشاد في المحافل العامة[٤٤]؛ إذ جاء في نصائح حكمة موجهة من لدُن أب إلى ولده بما يؤكد على التربية الأسرية: "من لا يقف في موضعه ولا يراقب بيته فستصبح له امرأته شيطاناً حقاً، من كانت له علاقات رديئة يصبح موضع الهوان في فم خواصه ذاتهم تكون سمعته سيئة، لا تقرر شيئاً مع مثير المشاكل ولا تدخل في التشاور مع عاطل أو كسلان فبالرغم من ارادتك الصالحة ستضمّ إلى ذهنيتهم وستنقص من نتاجك وتتخلى عن طريقك وتجعل فكرك ينحرف مهما كان حكيماً ومحتشماً"[٤٥]، وجاء في الأمثال السومرية عن احترام الأم: "**اعتبر كلمة أُمك، كما تعتبر كلمة ربّك!**"[٤٦]، وكان من بين دعوات تربية الابناء أن تكون لها وقع في نفس المتعلم وأن لا يتطاول على مربيه الذي علمه لأن ذلك سيكون بمثابة من يعمد إلى تقييد رجليه[٤٧]، فيصف احيقار[٤٨] ذلك قائلاً: "مثل نهيق الحمار في الصحراء، كذلك الابن الذي يعلَّم ويهذَّب ثم يوضع القيد في رِجله"[٤٩]، وتدل حوارية السيد وخادمه على وجوب الطاعة بما يؤكد على التربية واحترام الفرد لمن هو أعلا منه منزلة أو عمراً :"يا أيها العبد تعالَ إلى هنا وامتثل أوامري، نعم يا سيدي نعم، انطلق سريعاً وأطلب وهيئ لي مركبة لأذهب إلى البلاط، أذهب إليه يا سيدي أذهب إليه سيكون لك نفع فيه؛ إذ يراك الملك سيغمرك بالمكارم، إذن كلا أيها العبد لن أذهب إلى البلاط، لا تذهب إليه يا سيدي لا تذهب؛ إذ يراك الملك قد يرسلك إلى حيث لن تريد الذهاب، وقد يرسلك في طريق لا تعرفها، ونهاراً وليلاً سيذيقك ال**أمرين**"[٥٠].

وكان ابناء الملوك يخضعون لتربية خاصة وأن الآلهة هي من تحتضنهم لذا نجد أن الملك آشور بانيبال (٦٦٨-٦٢٧ ق. م) يقول بأن الإله مردوخ منحه الحكمة الواسعة وكاتب الآلهة الإله نابو[٥١] وهبه الحكمة والذكاء وللإلهين ننورتا[٥٢] ونركال[٥٣] فضل اكتسابه صفات القوة والرجولة[٥٤]، وكان العراقيون القدماء مهتمين بأدب الحكمة[٥٥]، ومن بين ذلك ما جاء بشأن التربية والحث عليها في نصائح الأسرة لأبنائها كما في

حكمة أحيقار إلى أبن أخته المدعو نادان: "**يا بنّي** التحق بالحكماء وبالرجال الأتقياء لكي تتشبّه بهم ولا تشارك الشبان الطائشين لكي لا تشبههم وتتّبع طريقهم"[٥٦]، وجاء في ذات الحكمة: "يا بنّي إذا مرض الحكيم يمكن للطبيب الاعتناء به وشفاؤه ولكن ليس هناك علاج لآلام الأحمق وجروحه"[٥٧]، وجاء في تنبيهات على شكل فؤول موجهة من كاتب إلى أمير بما يؤكد على وجود عملية تربية لأبناء الملوك خارج المدرسة: "إذا لم ينتبه ملك إلى الحق فسيقع شعبه في الفوضى وسيُجتاح بلده، إذا لم ينتبه ملك إلى حق بلده فأن ايا[٥٨] ملك المصائر الإلهي سيغّير مصيره الخاص، إذا لم ينتبه إلى حكيمه فستكون ايامه قصيرة، إذا لم ينتبه إلى مستشاره فستثور بلاده عليه، إذا اصغى إلى نذل فستتغير ذهنية البلاد، إذا انتبه إلى رسالة ايا فأن الآلهة العظام سيقودونه دوماً في المشورة وطرق الانصاف"[٥٩]، وفيما يتعلق بالحث على التعليم جاء في الحكم والأمثال السومرية بما يؤكد ذلك: "الكاتب الذي تتحرك يده بالسرعة، التي يملي فيها عليه الفم، هو كاتب جدير بهذا الاسم"[٦٠].

٢- الدور التربوي المشترك بين الأسرة والمدرسة

كانت التربية والتعليم قائمة على احترام التلميذ لمعلمه وهذا ما نستشفه من النص الآتي: "**المعلم: في مكان اجتماع المعلمين في ساحة بيت الألواح عليك ان تجلس يا ابني عند قدمي لأني اريد ان اسألك لأمتحنك وعليك ان تعطيني الجواب...**"[٦١]، وعقب إلمام التلميذ بأوليات فن الكتابة يظهر تمرداً متمثلاً بعدم الخوف من الأخ الكبير الذي في حقيقته تلميذاً تم انتدابه لتعليم التلاميذ الأصغر منه سناً وهنا يتدخل المدير لردع هذا التلميذ المتمرد على قوانين التعليم آنذاك[٦٢]: "**ماذا يعني أن يكون لأخيك الكبير دوره؟، يعني ذلك أنه أكثر معرفة منك، في فنّ الكتابة والتلميذ الذي يتصرف كما تفعل، لا بد أن يدخل في خلاف مع الأخ الكبير، هناك العصا وسأعاقب بها مثل هذا التلميذ**"[٦٣]، وفي الحوارية بين الأب وإبنه المتمرد ثمة دليل على قيامه باستطلاع أقوال الناس بحق ابنه ومتابعته ومعرفته بطبيعة الخلاف الذي حصل بين ولده والأخ الكبير في المدرسة؛ لذا يقدم له النصح بما يجب عليه فعله: "**تحدَّثتُ إلى من هم حولي، واكتشفت أمراً لم أكن ألاحظه قبل الآن، الكلمات التي سوف أردّدها فلتوقظ فيك خشيتك وحذرك، أنت لا تعير اهتماماً لزميلك في الدراسة، لرفيقك في العمل لماذا لا تتَّخذه مثالاً لك، امتثل بأخيك الأكبر**"[٦٤]، وفي ذات الحوارية تأكيد على التربية السليمة: "**كن رجلاً يا بني لا تعمد إلى ارتياد الحدائق العامة، ولا تتسكّع في الشوارع وعلى الجادّات، عندما تسير في الشارع لا**

تنظر إلى ما حولك، كن متواضعاً وأرِ مناظرك بأنك ترهبه، إذا ما أظهرت له رهبةً يرضى عنك"[٦٥].

٣- متابعة انتظام الدوام المدرسي

عدَ الاستاذ صموئيل نوح كريمر النص المعروف بتسمية (الحياة اليومية لطالب مبتدئ) أول علاقة للبيت بالمدرسة[٦٦]، وتشير إحدى الفقرات الواردة في هذا النص إلى طلب الأبن من امه تحضير مستلزمات ذهابه إلى المدرسة بالسرعة اللازمة لئلا يتأخر وينال العقوبة جراء تأخره[٦٧]؛ إذ يخاطب أمه بعد أن اطعمته وسقته وغسلت قدميه داعياً إياها أن توقظه مبكراً لئلا تتم معاقبته إن وصل المدرسة متأخراً: "**أريد أن أنام، أيقظيني باكراً في الصباح، يجب ألا أصل متأخراً إلى المدرسة، وإلا فالمعلَّم الكبير سوف يعاقبني**"[٦٨]، ويأتي على لسان التلميذ قائلاً أنه في بيت اللوحات بادره المراقب قائلاً: "**لماذا تأخرت؟، مثلت أمام معلّمي وأنا خائف، وقلبي يخفق، وانحنيت أمامه احتراماً**"[٦٩].

كانت المدرسة امراً غير محبباً للتلاميذ كما يفهم من الجدال الكلامي بين المتشاكسين (أنكي منسي) و(كرني شاكك) إذ يفخر المتحدث بحبه للمدرسة كونه أبن ناسخ ويدين الآخر لعدم حبه لها: "**أنا ابن ناسخ بينما أنت طبلاً فارغاً**"[٧٠]، وأن الأب أو لعله الأبوين كلاهما هما من يدفع بالتلاميذ الصغار الذهاب إلى المدرسة رغماً عنهم كما جاء في نصائح أب لولده المنحرف: "**اذهب إلى بيت اللوحات، قدَّم نفسك لأب بيت اللوحات، اتل عليه درسك افتح حقيبتك، انقش لوحتك...**"[٧١]، وكان من بين معلمي المدرسة معلم مختص بمراقبة حضور التلاميذ ودوامهم وحسن هندامهم[٧٢]، وكانت هناك دلائل على وجود قسوة التعامل من قبل المعلمين مع تلامذتهم[٧٣]، ولذلك ورد في الألف الثالث قبل الميلاد نصح يقول: "**يا بني تقبل تعاليمي**"[٧٤]، وبعد ألفي سنة من ذلك يأتي النصح: "**يا بني إذا ضربتك لن تموت**"[٧٥]، ويتضح من ذلك ان العقاب البدني كان أمراً شائع الاستخدام من قبل المعلم والأب على حد سواء: "**إذا لم يُسمع ابن الادوبا دروسه جيداً فأن الأخ الأكبر وأباه سيضربانه**"[٧٦]، وجاءت حكمة أحيقار إلى ابن اخته المدعو نادان بما يؤكد على ديمومة التربية باستخدام العقاب الجسدي: "**يا بنيّ لا تتوقّف عن معاقبة ولدك لأن معاقبة الابن هي مثل السَّماد في البستان ومثل رباط كيس المال ومثل عنان الدابة وقضيب إزلاج الباب**"[٧٧].

٤- متابعة تعليم الأبناء

كان التعلم يستغرق وقتاً طويلاً من عمر الانسان ومن وقته اليومي بحسب النص: "**هيا يا بني** أجلس عند قدمي، سأتحدث إليك وستعطيني المعلومات، أنتَ تدرس في بيت

الألواح من طفولتك حتى سن البلوغ، هل تجيد فن الكتابة الذي تعلمته"[٧٨]، وأن التدريب على ذلك يبدأ من البيت السومري وأولياء الأمور إلى جانب أثر كل من المدينة والسلطة الادارية والملك[٧٩]، وطول فترة التعلم يلخص أثره قول ديودورس (٤٠ق. م–؟)[٨٠] بشأن تعليم البابليين قائلاً: "غير أن هذه المعارف لم تكن تعلم بالطريقة عينها إلا لدى الاغريق، بينما فلسفة الكلدان تقليد عائلي، يرثها الابن عن ابيه كوظيفة عامة، وبما ان مدربيهم هم اهاليهم فهم ينعمون سواء بتعلم المعارف كلها دونما تحفظ أو قيد، كما بزيادة الكثير على قول معلميهم، وانهم بتعودهم على الدرس منذ الصغر، نلقاهم يتقدمون بوضوح في التنجيم، سواء بسبب سهولة تعلم ذلك في الصغر، وسواء لأن مرحلة التعليم لديهم هي أطول... وبينما يظل الكلدان على العلم الذي يتقبلونه تقليدياً دونما تغيير، نرى الاغريق... يناقضون بعضهم بعضاً حتى في التعاليم الاساسية المهمة"[٨١]، وبدءاً من منتصف الألف الثالث قبل الميلاد اصبح الاهتمام بالتعليم بصورة أكبر وذلك لانتقال السلطة من السيطرة الدينية إلى السيطرة السياسية على المجتمع[٨٢]، وكان لوجود قوائم لعلامات ومجاميع من علامات أو كلمات تم ترتيبها على شكل اعمدة عمودية ضيقة واحدة من اهدافها تدريب الكاتب كيفية تهجي تلك العلامة أثراً في اخضاع الكتاب لتدريب عالٍ[٨٣]، لذا أخضع الكتّاب في مدينة نفّر[٨٤] إلى تدريب عالٍ من أجل اتقان كتابة اللغة[٨٥] متمثلاً بقائمة علاماتها وتراكيبها[٨٦]، لذا جاء في الأمثال السومرية وصف من لا يتقن السومرية بأنه كاتب جاهل: "**كاتب لا يتقن السومرية!، اي كاتب هو إذن؟!**"[٨٧]، وهذا كله أنعكس على طبيعة التعليم وما يتطلب ذلك من ضرورة متابعة الدروس التعليمية بصورة مشتركة ما بين الأسرة والمدرسة؛ لذا كانت الصلات قوية بين المدرسة وذوي التلاميذ وهذا ما عكسه حضور المعلم إلى بيت التلميذ وسيل الاطراء والتشجيع له بما يعزز ثقته بنفسه[٨٨]؛ إذ يدعو أب المعلم إلى داره بعدما استمع إلى ولده التلميذ في المدرسة الذي شكا من قول المعلم فيه أن يده غير قوية في الكتابة: "ما قاله التلميذ، أعاره الأبُ اهتمامه، وتَّمت دعوة معلّم بيت اللوحات، وعندما دخل المعلم البيت تمَّ إجلاسه، في مكان الصّدارة، عند ذلك قام التلميذ بخدمته، وأحاطهُ بالعناية، كما عرض على أبيه بحضور معلّمه، كل ما تعلَّمه من فنّ الكتابة، قَدَّمَ الأبُ بعد ذلك الخمرَ إلى المعلّم وأولَمَ له: ألبسهُ كسوةً جديدة، قدَّم له هديّة، وزيَّن بخاتم إصبعه"[٨٩]، وهنا يشجع المعلم التلميذ قائلاً: "أيها الشاب لأنك لم تهمل كلمتي، ولم ترمِ بها جانباً، فلعلكَ تبلغ قّمة فنّ الكتابة،

ولتتمكّن من تحقيق ذلك بتفوّق، ولتصبح قائداً بين إخوتك، ورئيساً بين أصدقائك، ولتصل إلى أعلى المستويات بين التلاميذ، ولأنك أتممت بشكل جيد مهامّك المدرسية، ها أنت أصبحت رجل معرفة"[٩٠]، وما تقدم يعكس مقدار العلاقة الوطيدة بين الأسرة والمدرسة لتذليل الصعاب امام الابناء[٩١]، وصلة المدرسة بالبيت كبيرة كما يظهر من حالة توبيخ الأب لولده لفشله في اداء واجباته المدرسية كما أُخبر بذلك من قبل المدرسة[٩٢]: "لم آمرك في حياتي بحمل الحزم من منابت الأسل، التي ينقلها الفتيان والصغار، أنا لم أقل لك مطلقاً اتبع قوافلي، لم أكلفك قط بأي عملٍ ولم أطلب، منك حراثة حقلي ، لم أقل لك في حياتي اذهب واتخذ عملاً لكي تعيلني، كثيرون غيرك يقومون بأودِ أهلهم، من وراء عملهم"[٩٣].

كانت اجور المعلمين تدفع إليهم مما تتقاضاه المدرسة من الطلبة لقاء تعليمهم مما يدل على أن هناك مدارس خاصة[٩٤]، ومما يؤكد أيضاً على أن التعليم كان محل اهتمام ومتابعة الأسرة في العراق القديم؛ قيام الحكام والاثرياء وعموم أولياء الأمور بدفع أموال لتعليم ابنائهم[٩٥]، ومما يؤكد على وجود مدارس خاصة بالتعليم وعدم الاقتصار على المعبد؛ ورود العلامة المعبرة عن الكاهن (سنكا[٩٦]//SANGA) و(دب –سار –DB SAR) للتعبير عن الكاتب وكلاهما ذات رمز واحد في الكتابات القديمة مما يدل على اشتراك المعبد والمدرسة في نقل الحكمة والعلم للأجيال[٩٧]، كما تؤكد المكتشفات الاثرية ان النصوص الأدبية كانت قد وجدت في البيوت الخاصة وليس المعابد مما يؤكد حقيقة ان التعليم لم يقتصر على المعابد بل كانت هناك مدارس كالتي وجدت في بناية ليست بمعبد في مدينة ماري ضمت مصاطب لجلوس التلاميذ[٩٨]، وكان الكتّاب ومدارس التعليم مرتبطين بالمعبد والقصر مما أسهم بتمتعهم بقدر من التأمين الاقتصادي الذي اسهم بدوره في زيادة الاهتمام بالمواضيع التخصصية الرئيسية[٩٩]، وكل هذا إنما جاء إقراراً بأهمية التعليم وهذا ما تدل عليه رسالة من تل الرماح تعود إلى حوالي (١٧٥٠ ق. م) جاء فيها دعوة أحد الابناء لتعلم الكتابة: "**تعلم فن الكتابة وسأدخلك بيت النبلاء**"[١٠٠]، وإن لمن يتعلم مهنة الكتابة والقراءة تقدير واحترام كبيرين من قبل المجتمع وتمتدح العديد من النصوص الكتبة الجيدين واصفةً اياهم بالمضيئين كالشموس[١٠١]، والتعليم لا يقتصر على الكتابة والقراءة بل تعلُّم المثُل الإنسانية القيمة في التعامل؛ إذ جاء عن حكيم ينصح تلميذه عن سبل التعامل مع الآخرين: "عليك مراقبة ما يقوله فمك والسهر على مضمون خطابك، ففي ذلك مقدرة الرجل وليكن قولك ذا قيمةٍ أكيدة، وليكن

التجديف والنميمة مكروهَين لديك، لا تتلفّظ بسخريات ولا بآراء غير صادقة، لأنه بازدراء ينظر إلى صانع المشكلات"[١٠٢]، وبالمثل جاء في توصيات أب على هيأة حوار مع إبنه المنحرف يحثه فيها على التعلم والتربية في آن واحد: "أين ذهبت؟، –لم أذهب لأي مكان، –إذاً لم تذهب لأي مكان، فقد أضعت إذن وقتك عبثاً، اذهب إلى بيت اللوحات قدّم نفسك لأب بيت اللوحات إتل عليه درسك، افتح حقيبتك أنقش لوحتك، اترك للأخ الكبير أمر تخطيط لوحتك الجديدة، عندما تنتهي مهمتك وتعرض ما أنجزته على المراقب عد إليَّ، ولا تتسكَّع في الشوارع، والآن هل حفظت ما قلته لك؟، –نعم سوف أكرّره أمامك، –كرّره إذن، –سوف أكرّر ذلك، – قل، –قلتَ لي أن أذهب إلى بيت اللوحات، أن أتلو درسي أن أفتح حقيبتي، أن أنقش لوحتي، بينما يعدّ لي الأخ الكبير لوحةً جديدة، وعندما أفرغ من مهمتي، أعود إليك بعد تقديم نفسي للمراقب، هذا ما قلتهُ لي"[١٠٣].

والتعليم يتخذ طبيعة أخرى دلت عليها المكتشفات الأثرية متمثلة بالمدارس الخاصة أو التعليم الخصوصي؛ مما يدل على مقدار اهتمام الآباء بتعليم ابنائهم ومن ذلك مدرسة في سبار[١٠٤] عثر فيها على عدد كبير من الألواح بلغ مئات الألوف وقد عُدت هذه المدرسة أول مدرسة منتظمة في العالم[١٠٥]، وقد تضمنت الدراسة فيها تعليم الكتابة والرياضيات والأدب إلى جانب اكتشاف ألواح قانونية وإدارية[١٠٦]، وإلى جانب مدينة سبار تم اكتشاف مدارس خاصة في مدن كيش[١٠٧] ونُفّر وبورسيبا[١٠٨] والوركاء[١٠٩] إلى جانب مدرسة احيقار في زمن الملك سنحاريب (٧٠٥–٦٨١ ق.م) كانت عائدة للآراميين[١١٠]، وكان عدد المدارس في مدينة نُفّر كبيراً وجميعها يقع وسط الأحياء السكنية[١١١]، وكان التعليم من بين اهتمامات أسر الملوك؛ إذ أهتموا بتعلم القراءة والكتابة للتفاخر والتباهي وكذلك لتشجيع ابناء المجتمع على التعلم امثال الملكين شُلكي (٢٠٩٣–٢٠٢٤ ق. م) وآشوربانيبال (٦٦٩–٦٢٧ ق . م)[١١٢]؛ وقد تباهى الملك شُلكي بأنه أسس مدرستين احداهما في نُفّر والأخرى في اور وقد تعلم هو نفسه الكتابة والحساب بصورة أفضل من اقرانه في المدرسة وأرسل ولداً له إلى المدرسة كي يصبح كاتباً[١١٣]، وجاء عن هذا الملك قوله: "من يريد أن يصبح كاتباً أو عالماً يبدأ حياته بالذهاب إلى المدرسة وأن كان من نسب بسيط فسوف يدرس سوية مع ابناء الامراء ويرتفع إلى مراتبهم"[١١٤]، وجاء عنه أيضاً: "عندما كنت صغيراً تعلمت في المدرسة فن الكتابة على لوح سومر واكاد لا أحد من ابناء النبلاء يستطيع الكتابة مثلي بينما كان الناس يذهبون لتعلم فن الكتابة كنت اتقن

تماماً عمليات الطرح والجمع والحساب لقد وهبت لي الآلهة العادلة نينجال نيسابا المعرفة والفهم بسخاء أنا الكاتب الدقيق الذي لا يغيب عنه شيء"[١١٥]، وجاء قول الحكيم أحيقار بأنه لقيَ من الملك الآشوري[١١٦] أسرحدون (٦٨١-٦٦٨ ق. م) الهدايا عقب عودته من مصر وهذا تقديراً لمكانته باعتباره حكيماً : "وغُمرتُ بالهدايا من قبل الملك وبالتكريم من قبل كباره ولن يلبث الملك أسرحدون أن يخفّ لاستقبالي لدى عودتي"[١١٧]، وكان للملك آشوربانيبال في طفولته وصباه معلماً خاصاً يدعى (نابو أخّي أريبا/Nabu aḫḫi ereba) أشرف على تطوير معارفه فيما كان هذا الملك يعزو حكمته وعلمه وأدبه إلى أنها منة منّت بها الآلهة عليه[١١٨]، وقد هيأ معلم آشوربانيبال لهذا الملك في طفولته وصباه معلمين مختصين علموه اللغات القديمة[١١٩]. كانت سنوات التعلم الطويلة ربما السبب الرئيسي في عدم خضوع النساء للتعليم؛ إذ أن دورهن الرئيسي كان يكمن في انجاب الأولاد وتربيتهم إلا أن ذلك لا يمنع من ذكر لوجود نساء كاتبات مما يعني خضوعهن للتعلم كما يستدل على ذلك من ذكر لوح جرايات يعود إلى زمن سلالة اور الثالثة (٢١١٦-٢٠٠٤ ق. م) لنساء ناسخات تسلمن جراياتهن لقاء عملهن، وكذلك ذكر لنساء في العصر البابلي القديم معظمهن من صنف الكاهنات الناديتوم كُنَّ يمارسنَ مهنة النسخ[١٢٠]، وجاءتنا نصوص جرايات لامرأة تسلمت جراية كونها كاتبة من عهد الملك يسمح ادد ابن الملك الآشوري اشمي داكان، ولسبع اخريات لعملهن ناسخات في عهد الملك زمريلم (١٧٧٩-١٧٦١ ق. م)[١٢١]. وبلغ الأمر أن تسلمت المرأة منصب الملوكية كما حصل مع كوبابا ملكة لمدينة كيش عام (٢٤٢٠ ق. م) وسمير اميس والدة الملك ادد نيراري وتقلد نسوة لمنصب حكم مقاطعات مثل الحاكمة (ساكينتو/Sakintu) والحاكمة (امينة/Amminai)، وتسنمهن مناصب قضائية كما يدل على ذلك نص مسماري يعود إلى القرن الثامن عشر قبل الميلاد[١٢٢]، فيه دلائل على أن تعليم الإناث أمر موجود وإن كان على نطاق ضيق يتمثل بأسر الملوك والأمراء والموسرين مادياً.

وكون التعليم مكلفاً من الناحية المادية لذوي المتعلم واقتصار التعليم لذلك على الميسورين لا يدعو إلى استبعاد وجود تعليم للإناث كما الذكور على نطاق ضيق كما يشير إلى ذلك وجود اسماء الكاتبات إلى جانب اسماء الكتاب[١٢٣]، ومن ذلك كله نتوصل إلى أن تعليم الإناث جاء انعكاساً لحقيقة اهتمام الأسر بتعليم بناتهم أياً كُنَ المتعلمات من أسر ملكية أو ميسورة أو لعله حتى من أسر أدنى مستوى من الناحية الاقتصادية.

٥- تعليم الحرف

للمدرسة كما الأسرة دور في تعلم الحرف خصوصاً أن بعض الحرف تحتاج إلى التدوين مما يعني تعلم الكتابة وبعضها يحتاج إلى الرسم مما يعني تعلم الرسم وكذلك تعلم الطب، وقد أسهمت الكتابة في حصول تطور في الميادين الاجتماعية والدينية والسياسية والاقتصادية بل شمل الاتقان الصناعي إذ وضعت بين مديري ورش الصناعة العامة والخاصة سبلاً للاطلاع على التجارب السابقة[١٢٤]، ان ما بعد عام (٣٥٠٠ ق. م) قد شهد تطوراً هائلاً في بلاد الرافدين شمل اساليب تخطيط الري وبناء الزقورات وتقنيات الغزول والنسيج والصباغة والزراعة والدباغة[١٢٥]، وأن فهم العراقي القديم للكون اتخذ منحى جديد بعد منتصف الألف الرابع أي بعد معرفته الكتابة فكانت ان تركت في تطوره الثقافي نبوغاً جديداً عما سواه في سالف الأزمان من تخطيط للري وتوسع الزراعة بتوسع قنوات الري وزيادة السكان وتحول القرية إلى مدينة وانتجاب فكرة لسلطة سياسية جديدة هي "الديمقراطية البدائية"[١٢٦]، ولأهمية الحرف والمهن تم تضمين هذا المفهوم في الأساطير والملاحم العراقية القديمة؛ من ذلك كان بين النواميس الإلهية التي تسلمتها الإلهة (إنانا/عشتار) من الإله (إنكي/ايا) بحسب أسطورة نقل فنون الحضارة من مدينة اريدو إلى مدينة الوركاء نواميس تتعلق بالمهن مثل الكتابة والحدادة وصنعة الجلود وغيرها[١٢٧]، وكان معظم الفقراء يتوجهون لتعلم المهن وهذا يتطابق مع مفهوم التعليم المهني في وقتنا الحاضر[١٢٨]، وتمثل الهدف الاساسي للتعليم في العراق القديم نيل التخصص أو التدريب المهني لغرض سد متطلبات وحاجات الجوانب الاقتصادية والادارية للبلاد وعلى وجه الخصوص تلك المرتبطة بالمعبد والقصر[١٢٩]، وكان السومريون يطلقون على المختص والخبير تسمية (ummia) وعند الاكديون عرفت بتسمية (ummiãnum/ummânu)، وأن لفظة (ummia) السومرية ولفظة (ummânu) الاكدية تدل على معنى معلم الحرفة[١٣٠]، وكان الاب يبادر إلى تدريب ولده على مهنته وافهامه اسرارها[١٣١]؛ إذ كانت كل مهنة أو حرفة ينحصر تعلمها في داخل الأسرة إذ يعلم الأب ولده سر المهنة أو الحرفة وفي أحيان يبادر صاحب المهنة أو الحرفة إلى تعليم أما ولد أو مجموعة أولاد بالتبني أسرار المهنة أو الحرفة لغرض الانتفاع بهم مستقبلاً[١٣٢]؛ إذ لا ضمان لمعيشة الشخص عند بلوغه سناً متقدمة واصابته بالعجز سوى رعاية ابنائه له[١٣٣]، وكان الدافع الاقتصادي ايضاً يدفع بالآباء والامهات إلى اعطاء ابنائهم للآخرين على سبيل التبني لغرض تعليمهم بعض الحرف المربحة لذا يوافق الاب على منح ولده لمن

يرغب في تبنيه إن لم يكن هو من يسعى للحصول على شخص يرغب بذلك[١٣٤]، وإن التبني يُمكن الأسرة من الحصول على ابن يوفر الرعاية لها؛ إذ يسهم في مساعدتها في الاعمال الحياتية الحرفية لذا كانت معظم حالات التبني تشير إلى تبني كبار السن للأولاد مما يؤكد حقيقة وجود حاجة تتعلق بالرعاية[١٣٥]، وعلى الرغم من ان قوانين العراق القديم لم يرد فيها ما يتعلق بالتعليم إلا أن قوانين الملك حمورابي تضمنت فقط مسألة الحث على تعلم المهن[١٣٦]، وكانت معنية بالدرجة الأساس بالأبناء المتبنين؛ إذ جاء في المادتان (١٨٨-١٨٩) التأكيد على عدم قدرة القضاء اخذ المتبنى من الشخص المتبني في حال كان الأخير قد بادر إلى تعليمه حرفته[١٣٧]؛ إذ جاء في المادة (١٨٨): "لو اتخذ حرفيّ ابناً لتعليمه الصنعة وعلمه الحرفة، لا يحق لأحد استرداد الولد"[١٣٨]، وفي المادة (١٨٩): "فإذا لم يعلمه (الحرفيّ) عمل يده (حرفته)، (يحق) لذلك الولد المتبنى الرجوع إلى بيت أبيه"[١٣٩]، وكان التعلم بالوراثة أمراً سائداً في بلاد آشور وأن التعلم يشمل تعلم الأبن لمهنة ابيه كالتجارة وذلك عبر مراقبة ابيه ومساعدته منذ نعومة اظفاره، إلى جانب وجود سبل تدريب من قبل مدربين بموجب عقود تدريب تضمن للطرفين المتدرب والمتعلم حقوقهما[١٤٠]، وغالباً ما كان العبيد ملزمين بتعلم التجارة والصناعة أو أية حرفة يدوية أُخرى[١٤١]، وكانت المجالات التي تفتح امام التلميذ الذي ينهي تعلمه محدودة من ناحية نوع الحرفة التي سوف يمارسها وهذا يرتبط اساساً بطبيعة المهنة التي تمارسها العائلة، وهذا الأمر عائد في حقيقته إلى طبيعة الأقدار التي رسمها الإله انليل فمجرد كون الكاهن ملماً حاذقاً بأصول القراءة والكتابة لا يعني أن تكون أبواب الكهنوت مفتوحة أمام الجميع لمزاولة هذا النشاط إذ ثمة شروط منها أن الكاهن العراف يجب أن يكون نبيل المولد والبنية وأن أي كاهن بالمجمل أن لا يكون مصاباً بكسر سن أو حول العين أو اعرج أو اية إعاقة جسدية أخرى[١٤٢]، وقد اكدت إحدى الدراسات بان افراداً بلغ عددهم الخمسمائة دونوا إلى جانب اسمائهم اسماء ونوع حرف ابائهم[١٤٣]، وتشير الأدلة التاريخية إلى قيام كل من آشور ومن بعدها بابل في عصرها الحديث بنقل الخبراء من ذوي المهن إلى العاصمة؛ لزيادة مهارات هاتين المدينتين[١٤٤]، ويمكننا تصور وجود لهذه الظاهرة ظاهرة نقل الخبرات من المدن إلى العواصم في ازمان سابقة بعد شيوع ظاهرة المدارس وعلى أقل تقدير في العصر البابلي القديم الذي شهد اتساع التعليم بفضل المدارس الحكومية مما يعني أن رعاية الأسرة والمدرسة للأبناء اثناء مدة التعلم تأتي

أُكلها من الناحيتين المعنوية؛ بكون من ساهم في تخرجه بات شخصاً مرموقاً، ومادياً؛ كون هذا المتعلم بات يتقاضى اجراً لعله مضاعفاً لقاء عمله النابع عن تميزه.

كان العلم يعتبر أمراً موحى به من قبل الآلهة لذا تُعد النصوص المكتوبة شيئاً مقدساً[١٤٥]، وإن الإله (انكي/ايا) المسؤول عن العلم والمعارف، وحفيده الإله نابو ابن الإله مردوخ إله فن الكتابة وحامي المدرسة[١٤٦]، وجاء في نص من مدينة سبار: "الفنان، العالم، الحكيم برغبات الآلهة يعلم القراءة والمعرفة، يمسك بيده الرقيم والقلم الابن المفضل..."[١٤٧].

وفيما يتعلق بالكتابة، التي اخترعت من قبل السومريين كما هو مثبت إلى الآن تاريخياً[١٤٨]، التي يعود أول المؤرخ منها إلى فترة الوركاء المتأخرة (٣٤٠٠-٣١٠٠ ق. م)[١٤٩]، والتي عُرفت عندنا بالمسمارية نتيجة تكون اسافين في نهاية العلامات المكتوبة والناشئ من ضغط قلم القصب على الألواح الطينية[١٥٠]، كان تعلمها أي الكتابة إلى جانب تعلم الحساب من بين الأمور التي يسعى الآباء السومريين أن يتحصل عليها ابنائهم املاً منهم في اكتساب حرفة ما كالتجارة التي تدر عليهم ربحاً وافراً وأن عدم تعلمها سيكون بمثابة حالة عوق للأبناء يحول دون تقدمهم صعوبات تتعلق بإجراءات البيع والشراء وتدوين العقود ومصادقتها بصورة صحيحة[١٥١]، إذا ما علمنا بأن الملكية الفردية هي الدافع الحقيقي للاهتداء إلى الكتابة؛ إذ ضمنت للشخص حقوقه المادية[١٥٢]، ولا يفوتنا القول بأن انشاء المدرسة في بلاد سومر كان لغايات (حِرَفيّة) تنشُد إيجاد جهاز من الكتبة وأمناء السر والإداريين ما لبثت أن تطور لديها هذا المفهوم ليشمل إيجاد اشخاصاً اكاديميين هم من نذروا أنفسهم للتعلم والتعليم[١٥٣]، وجاء في الحوارية بين الأب وولده المتمرد ما يؤكد على ضرورة تعلم الكتابة كونها حرفة: "بين جميع المهن البشرية التي وُجدت على الارض، والتي عينَ الإله إنليل أسماءها، لم يسمَّ أية مهنة أصعب من فنّ الكتابة، لأنه إذا لم تكن الأغنية (الشعر) شبيهة بشاطئ البحر، بضفَّةِ التُرع البعيدة، قلب الأغنية البعيدة، فإنك لن تعير إلى نصائحي أذناً صاغية ولن أكرر أمامك حكمة أبي: امتثالاً لأوامر انليل، على الأبن أن يتبنَّى وأن يرث مهنةَ أبيه"[١٥٤]، وكان لصعوبة العلامات المسمارية، وبالتالي صعوبة تعلم الكتابة المسمارية؛ سبباً في ان تبقى الكتابة زمناً طويلاً يتوارثها الابناء عن الآباء[١٥٥]، ومهنة الكاتب كانت مهنة رفيعة المستوى[١٥٦]، وإن معظم اباء الكتبة من الطبقات الاجتماعية العليا لذا كان لأبنائهم فرصة ممارسة اعمال وظيفية لائقة في القصور والمعابد، وهذا الأمر يتحقق أن هم تعلموا القراءة

والكتابة[١٥٧]، ولأهمية الكتابة خصص لها إله إله هو (نابو/Nabû)، وكان الكاتب ويلفظ اسمه بالسومرية (DUB SAR) وبالاكدية (tupšarru) يتمتع بمركز رفيع في المجتمع[١٥٨]، وله أهمية نابعة من طبيعة الأعمال الموكلة إليه السياسية منها والادارية والتجارية، وإن الزام القوانين العراقية لقبول المعاملات أن تكون مكتوبة ومشهد عليها كان سبباً في زيادة اعداد الكتبة الذين ولابد انهم كانوا يتقاضون اجوراً لقاء كتابة نص المعاملة وادراج اسمه كشاهد فيها وامضائها بختمه[١٥٩]، وقد تم تصنيف الكتبة إلى ثلاثة اصناف بحسب طبيعة عملهم ومركزهم الاجتماعي وهم الاداريون والشعراء والعلماء بالتتابع[١٦٠]، وكانت وظيفة الكاتب مهنة متميزة ومزاولوها هم بالأصل من عائلات حملت تسمية جداً جميلة لها إذ عُرِفَ بأنه كان كاتباً[١٦١]، والكاتب في المعبد ليس بالضرورة أن يكون ممارساً لمهام متعددة فيه كما يفهم من نص تمكن فيه كاتبه ان يحرر رسالة مما يعني اجادته للقراءة والكتابة إلا انه في نفس الوقت يُخبِر بانه لا يستطيع الصرف لعدم وجود كاتب مما يدل على وجود تقسيم للأعمال[١٦٢]: "أما في ما يتعلق بالمائتي رجل المستأجرين الذين تحت مسؤوليتي فإني على الرغم من جلبي الفضة والصوف اجوراً لهم لم استطع صرفها لهم دون وجود كاتب، لأن الكاتب وقائمة الحساب معكم"[١٦٣]، وبالمحصلة كان الكاتب في مجتمع بلاد الرافدين رجلُ مهم للغاية فلولا وجوده لما كان بالإمكان بسط الملوك سيطرتهم على مناطق غير معروفة؛ إذ ان له دور في معرفته لها، ولما استطاع موظفي الري التوجيه بضرورة الإفادة من مياه الري وزيادة خصوبة التربة، فهو أي الكاتب من كان له فضل تسجيل الأوامر الادارية وحساب التقويم وحساب قوة العمل اللازمة لغرض شق قنوات الري أو حساب ارزاق الجيش لذا تُعد حضارة بلاد الرافدين مثقفة على هذا الاساس[١٦٤]، ولولا الكتابة لما بلغ فن المعمار ما بلغ ولولاها ما شهدنا ببلاد الرافدين مستوى التنظيم الاجتماعي الذي بلغته[١٦٥]، ولقد كانت الكتابة قد أظهرت في العصر الشبيه بالكتابي مجتمعاً متحضراً وكان حداً فاصلاً في جميع النواحي الإنسانية وحداً فاصلاً بين حضارة العراق وجميع الحضارات المجاورة لها ومصدراً للتقاليد الحضارية في الشرق الأدنى بأجمعه طوال شيوع الكتابة المسمارية[١٦٦]، ومقدار أهمية الكاتب تتجلى بكونه عُدَ حلقة الوصل بين الأسرة والمواطن وبينهم وبين الآلهة وكذلك ما بينهم وبين الملوك؛ لذا بلغ به السمو أن خُلدت ذكراهَ بإقامة تماثيل له، كتمثال الكاتب السومري (دودو) الذي سمت شهرته الآفاق[١٦٧].

ان توسع المعارف بتطور نظم الحكم والادارة كان للكتابة دوراً اساسياً فيه[١٦٨]؛ من ذلك إن على ممارسي مهنة الطب اجادة القراءة والكتابة وهذا ما يستدل عليه من أن قراطيسهم الطبية المكتوبة هي في حقيقتها نصوصاً مقتبسة من نصوص طبية أقدم مما يعني بأنهم من قام باستنساخها[١٦٩]، في حين أن تعليم الطب لم يكن ضمن مقررات المناهج الدراسية في المدارس العراقية القديمة[١٧٠]، وكان أول نص طبي هو عبارة عن كتاب موجز عثر عليه في مدينة نفُّر يعود إلى نهاية الألف الثالث قبل الميلاد[١٧١]: "**اسحن... (و) طين النهر (SA ḪAR-NIG-DA)؛ اجبله بالماء (و) العسل، دع زيت البحر...**"[١٧٢]، وإن النصوص الطبية في بلاد الرافدين تكتب حصراً باللغة السومرية وكانت عبارة عن دساتير وربما يأتي ذلك؛ منعاً من ان يتعرف إليها المريض[١٧٣]؛ وفي ذلك دلالة على أن تعلم اللغة السومرية في العصر الاكدي وما يليه كان أمراً صعباً؛ يؤكد ذلك القول بكتابة النصوص الطبية بالسومرية حصراً لئلا يتعرف المريض عليها، بمعنى امكانية تعرفه عليها إن كتبت بلغة أخرى.

وتضمن كتيب الجيب الآشوري المعني بالأمور الطبية تعليمات عن كيفية تحضير الادوية وطريقة الاستعمال وكذلك الموجزات الطبية التي تستعمل من قبل الاطباء لتعليم تلامذتهم مهنة الطب[١٧٤].

كان اصحاب الصناعات (الكيموية) التي تعني الصناعات التي تحتاج إلى معرفة الكم مثل صناعة الفخار والزجاج والتزجيج يخفون أمر صناعتهم لذا لا يقدمون على التعريف بها خوفاً من أن يقلد غيرهم ذلك لذا لم يتركوا نصوصاً توضح كيفية اتمام صنعتهم إلا نص يعود إلى أواخر القرن السابع عشر تنازعت نفس صاحبه حب حماية مصلحته الخاصة ورغبة نشرها أي ما بين التفاخر والغيرة على اسرار صنعته وهو بذلك خالف من جاء بعده بألف عام وهم الآشوريين الذين كتبوا بأسلوب يسوده الغموض عن صناعتهم بما لا يشي عن سبر كنهها[١٧٥]: "أضف إلى منا واحد من الزجاج الـ"زكو" عشرة شيقلات من الرصاص وخمسة عشر شيقلاً من النحاس، ونصف شيقل من ملح البارود، ونصف شيقل من الجير، عليك أن تضعها في الأنون فتستخرج نحاس **الرصاص...**"[١٧٦]، وكان للألواح الاقتصادية التي ضمت قوائم مفردات تخص للأدوية والمعادن والتوابل وغيرها المكتوبة بإحدى اللغتين السومرية والاكدية أو بكلاهما أثراً بالتعرف على مقدار معرفة بلاد الرافدين بالكيمياء دون أن نتعرف في ظل وجود قوائم بأسماء المفردات دون تفصيلات كيف كانت

تتم عملية التعلم والشروحات لمعرفة ما تتضمنه كل قائمة[١٧٧].

وفي مجال الزراعة اورد الاستاذ صموئيل نوح كريمر هذا النص الزراعي تحت مسمى (أول تقويم فلاح) عاداً اياها ارشادات موجهة من قبل فلاح لولده، فيما النسخة الأحدث التي اوردها الاستاذ ميكيل سفل وتعود إلى عام ١٩٩٤ جاءت بعنوان (في الأيام الماضية أسدى فلاح النصيحة إلى ابنه) والتي عدها الاستاذ كيلي ابتز على أنها نظماً شعرياً وليس كراساً في كيفية تعلم الزراعة[١٧٨]، اما العالم (ف فون زودن) فيرى أنها قصيدة تعليمية[١٧٩]، وتبتدئ ارشادات الفلاح لولده بالسطر الذي يقول: "**في الأزمان القديمة زود فلاح ابنه بهذه الارشادات**"[١٨٠]، وإن معرفتنا الأكيدة بقيام الزراعة على أقل تقدير بحلول عام (٦٠٠٠ ق. م)[١٨١] يؤكد حقيقة وجود تعليم موجه من قبل الآباء لأبنائهم عن كيفية اتمام العمليات الزراعية اللازمة لإنبات النباتات على غرار ما جاء في ارشادات الفلاح لولده.

في القصة الأسطورية للملك سرجون الاكدي تأكيده فيها على أن البستاني الساقي (آكي) الذي عثر عليه وانتشله من النهر رباه كولده وعلمه فن البستنة[١٨٢]: "حملني النهر، جرفني إلى عند أقي غارف المياه أقي غارف المياه إذ غطس دلوه اجتذبني من النهر، أقي غارف المياه تبناني مثل ابنه ورباني، أقي غارف المياه أنشأني على مهنته"[١٨٣]، وان تطور الزراعة في بلاد آشور لابد أن تحقق بفضل التعليم كما يشير إلى ذلك نص للملك سرجون الثاني (٧٢٢-٧٠٥ ق. م) يمدح فيه نفسه: "لقد فكّر ان ... يفتح الأرض المتروكة ويزرع البساتين وقرر أن يحصل على الحبوب من المنحدرات الصخرية التي لم يسبق ان انتجت خضاراً، لقد تعلق قلبه بان يجعل اخاديد في الارض البور التي لم تعرف المحراث في عهود الملوك السابقين، وجعل الناس تغني من الفرح"[١٨٤].

في ميدان الفن كانت مدرسة المعبد تتضمن دروساً موسيقية يستمر التلميذ في تلقيها على مدار ثلاثة سنوات[١٨٥]، وكان تعليم الطفل على الآلات الموسيقية تبدأ في المنزل قبل المدرسة بحسب ما تم الاستدلال عليه من وجود لآلات موسيقية فخارية مخصصة للأطفال[١٨٦]

وكانت الموسيقى ملازمة لميلاد الدين السومري إذ تشاركه طقوسه الدينية، وقد وجدت نصوص يتم تدريسها في معبد الإله (بل) ووجود مدارس في كل من معابد شمش في سيبار وانليل في نيبور وإنانا في الوركاء[١٨٧]، وهناك نصوص كان على طلبة الفن الموسيقي حفظها إلى جانب وجود كهنة معنيين بالموسيقى[١٨٨]، ويؤكد نص من عهد الملك الآشوري شمشي ادد الأول

(١٧٤٨-١٧١٦ ق. م) وجود مدرسة موسيقية تابعة للقصر إذ يأمر هذا الملك بالحاق ابنة ياري ليم ملك ماري بهذه المدرسة[١٨٩]، وقد ضمت قصور الملوك مدارساً لتعليم الموسيقى[١٩٠]، وكان للموسيقى دوراً كبيراً في المسار الدراسي ولا أدل على ذلك أن المغني (NAR) يجيء اسمه مذكوراً مع الكاتب (dubsar) وكان من خريجي المدارس قد تخصصوا بالأدب الديني لذا يقدم هؤلاء على تعليم المغنيين والموسيقيين كيفية اداء الطقوس الدينية عزفاً وانشاداً[١٩١]، وإلى جانب كاهن النار المسؤول عن الأغاني الفرحة يأتي كاهن الألحان الحزينة (Kalûm) الذي يصاحب غنائه الموسيقى[١٩٢]، وقد لعبت الموسيقى دوراً في تاريخ بلاد الرافدين في الحياة اليومية والبيت وقبلهما المعبد[١٩٣]؛ إذ كان للدين الأثر في الحياة اليومية عند العراقيين القدماء[١٩٤].

وكان من بين اصناف الكهنة صنف الحرفيون المسؤولين عن تحضير تماثيل الآلهة اللازمة لإقامة الاعمال الطقوسية[١٩٥]، إذ كان المعبد يضم تماثيل الآلهة الرئيسية منها والثانوية وهي مصنعة من الخشب الذي تتم تغطيته بالذهب أو بمعادن أخرى[١٩٦]، وأن كون المعبد قد احتضن المدرسة الأولى في التاريخ[١٩٧]، فلا بد وأن مسألة تعليم الموسيقى وصناعة التمثيل كانت مما يتم تعلمه في هذه المعابد.

نتائج البحث:

١- أن أغلب التعليم كان من أجل الوظائف المهمة؛ ولذلك كانت منزلة الكاتب منزلة كبيرة في المجتمع.

٢- سبق البيت المدرسة في عملية التعليم ومن ذلك تعلم الحرف، وأن تعلم الكاتبة لا بد وأن بدأ في البيت من قبيل تعليم الكاهن العارف للكتابة ولده الكتابة من قبيل توريث المهنة من الأب إلى الأبن التي أتصف بها العراقي القديم.

٣- لم تكن المدرسة بمعزل عن البيت، ومحاولة كلا المؤسستين تنسيق جهودهما لتربية وتعليم الأبناء، وهي حالة لا زالت قائمة في المجتمعات المعاصرة.

٤- نظرة العراقي القديم إلى التعليم نظرة أسبغت عليها القداسة من خلال تخصيص إله للحكمة وآخر للكتابة، وهذا بحد ذاتها دليلاً على ما للتعليم من أهمية في حياته.

هوامش البحث:

١) التبني: نظام قانوني يعني ايجاد علاقة البنوة بين رجل وامرأة أو احدهما (الطرف الأول) من جهة مع ولد أو بنت أو ذويهم من جهة اخرى؛ ينظر: احمد مجيد الجبوري، التبني في العصر البابلي القديم (دراسة موجزة في ضوء النصوص المسمارية)، مجلة سومر، ع٥٣، ص١٤٣.

٢) صموئيل نوح كريمر، السومريون تاريخهم حضارتهم وخصائصهم، ترجمة: فيصل الوائلي، مكتبة الحضارات، (بيروت/ ١٩٧٣)، ص١٠٦؛ كذلك: رضا جواد الهاشمي، نظام العائلة في العهد البابلي القديم، مكتبة الأندلس، ص٣٦.

٣) صالح حسين الرويح، العبيد في العراق القديم، مطبعة أوفسيت الميناء، (بغداد/١٩٧٧)، ص١٢٦.

٤) هاري ساكز، قوة آشور، ترجمة: عامر سليمان، مطبعة المجمع العلمي، (بغداد/١٩٩٩)، ص١٩٩.

٥) عامر سليمان، الحياة الاجتماعية والخدمات في المدن العراقية في الازمنة التاريخية القديمة في المدينة والحياة المدنية، ج١، دار الحرية للطباعة، (بغداد/١٩٨٨)، ص١٩٥.

٦) حكمت بشير الاسود، مبدأ التبني في العراق القديم، مجلة سومر، مج٤٤، (١٩٨٥-١٩٨٦)، ص٧٣.

٧) بهيجة خليل اسماعيل، الكتابة في حضارة العراق، ج١، دار الحرية للطباعة، (بغداد/١٩٨٥)، ص٢٦٢.

٨) هاري ساكز، قوة آشور، ص٢٠٩.

٩) سامي سعيد الاحمد، السومريون وتراثهم الحضاري، منشورات الجمعية التاريخية العراقية، (بغداد/١٩٧٥)، ص١٠٧.

١٠) رضا الهاشمي، النظام الكهنوتي في العراق القديم، مجلة كلية الآداب، ع١٤، (بغداد/١٩٧٠-١٩٧١)، ص٢٦٣.

١١) إي أي سبيزر، حضارة وادي الرافدين نور لا يخبو، ترجمة: كاظم سعد الدين، دار الشؤون الثقافية العامة، (بغداد/٢٠٠٤)، ص ص١١١-١١٢.

١٢) هاري ساكز، عظمة بابل، ترجمة: عامر سليمان، ط٣، دار الكتب للطباعة والنشر، (الموصل/١٩٧٩)، ص٤٨٩.

١٣) بهيجة خليل اسماعيل، الكتابة في حضارة العراق، ج١، ص٢٦٢.

١٤) أو ابن بيت الألواح؛ ينظر: وليد الجادر وعبد الإله فاضل، دور العلم والمعرفة في العراق القديم، مجلة المورد، دار الشؤون الثقافية العامة، مج١٦، ع٣، (بغداد/١٩٨٧)، ص٨٥.

١٥) عامر سليمان، الكتابة المسمارية، دار الكتب للطباعة والنشر، (الموصل/٢٠٠٠)، ص٩٩.

١٦) فاروق ناصر الراوي، جوانب من الحياة اليومية في حضارة العراق، ج٢، دار الحرية للطباعة، (بغداد/١٩٨٥)، ص٣٨٠.

١٧) قاسم الشواف، ديوان الأساطير سومر وأكاد وآشور، الكتاب الثالث، دار الساقي، (بيروت/١٩٩٩)، ص٣٠٩.

١٨) وليد الجادر وعبد الإله فاضل، دور العلم والمعرفة في العراق القديم، مجلة المورد، ص٨٤.

١٩) حكمت بشير الأسود، الرموز الفكرية في حضارة وادي الرافدين، منشورات كلية بابل الحبرية للفلسفة واللاهوت، (بغداد/٢٠١٠)، ص٣٢٢.

٢٠) عامر سليمان، العراق في التاريخ القديم موجز التاريخ الحضاري، ج٢، جامعة الموصل، (الموصل/١٩٩٣)، ص٢٦٥.

٢١) فاضل عبد الواحد علي، الكتابة واللغة والأدب في العراق في موكب الحضارة الاصالة والتأثير، ج١، دار الحرية للطباعة، (بغداد/١٩٨٨)، ص١٨١.

٢٢) جورج سارتون، تاريخ العلم، ترجمة: محمد خلف الله وآخرون، ج١، ط٣، دار المعارف بمصر، (القاهرة/١٩٧٦)، ص١٥٦.

٢٣) تقي الدباغ ووليد الجادر، عصور قبل التاريخ، مطبعة جامعة بغداد، (بغداد/١٩٨٣)، ص١٤٣.

٢٤) هنري فرانكفورت، فجر الحضارة في الشرق الأدنى، ترجمة: ميخائيل خوري، منشورات دار مكتبة الحياة، (بيروت–نيويورك/١٩٥٩)، ص٦٧.

٢٥) ثلماستيان عقراوي، المرأة دورها ومكانتها في حضارة وادي الرافدين، وزارة الثقافة والفنون، (بغداد/١٩٧٨)، ص١٩٩.

٢٦) صموئيل نوح كريمر، السومريون تاريخهم حضارتهم وخصائصهم، ص٣٢٩.

٢٧) عامر سليمان، العراق في التاريخ القديم موجز التاريخ الحضاري، ج٢، ص٢٦٧.

٢٨) المصدر نفسه، ص ص٨٦–٨٧.

٢٩) المصدر نفسه، ص٩٣.

٣٠) ينظر: ادوارد كييرا، كتبوا على الطين رقم الطين البابلية تتحدث اليوم، ترجمة: محمود حسين الأمين، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، (بغداد–نيويورك/١٩٦٢)، ص ص٧٠–٧٢.

٣١) جورج سارتون، تاريخ العلم، ترجمة: محمد خلف الله وآخرون، ج١، ص١٧٩.

٣٢) احمد سوسة، تاريخ حضارة وادي الرافدين في ضوء مشاريع الري الزراعية والمكتشفات الآثارية والمصادر التاريخية، ج١، دار الحرية، (بغداد/١٩٨٣)، ص٩٤.

٣٣) هاري ساكز، عظمة بابل، ص١٨٥.
٣٤) احمد سوسة، تاريخ حضارة وادي الرافدين...، ص٩٦.
٣٥) عن النظريات التي قيلت في أصل السومريين؛ ينظر: طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة،ج١، دار الوراق، (بغداد/٢٠٠٩)، ص ص٨٠-٨١.
٣٦) زهير صاحب وسلمان الخطاط، تاريخ الفن القديم في بلاد وادي الرافدين، مطبعة التعليم العالي، (بغداد/١٩٨٧)، ص ص٤١-٤٢.
٣٧) الكور الواحد يساوي (٢٥٢و٦) لتر؛ ينظر: عامر سليمان، العراق في التاريخ موجز التاريخ الحضاري، ج٢، دار الكتب للطباعة والنشر، (الموصل/١٩٩٣)، ص٢٤٩.
٣٨) ثوركيلد جاكوبسن وروبرت ام ادامس، الملح والطمى في زراعة بلاد ما بين النهرين قديماً، ترجمة: سيروب استيبانيان، مجلة النفط والتنمية، عدد خاص، دار الثورة للصحافة والنشر، (بغداد/١٩٨١)، ص ص١٤٦-١٤٧.
٣٩) المصدر نفسه، ص١٤٨.
٤٠) ديكانوف ي. م. وآخرون، تاريخ الشرق القديم نشوء المجتمعات الطبقية القديمة والمواطن الأولى للحضارات العبودية، ترجمة: محمد العلامي، دار الفكر، (عمّان/٢٠١٢)، ص١٣٥.
٤١) المصدر نفسه، ص١٣٦.
٤٢) هاري ساكز، عظمة بابل، ص٢١٣.
٤٣) عادل هاشم علي، البنية الاجتماعية في العراق القديم من عصر فجر السلالات وحتى نهاية العصر البابلي القديم، اطروحة دكتوراه، (٢٠٠٦)، ص٧٣.
٤٤) صموئيل نوح كريمر، الأدب السومري أقدم القَصَص في تاريخ البشرية في حضارة وادي الرافدين (سومر-آشور-بابل) سبعة آلاف سنة من الفن والحضارة، ترجمة: قاسم مطر التميمي، بيت الحكمة، (بغداد/٢٠١٠)، ص١٤٨.
٤٥) المصدر نفسه، ص ص٤١٨-٤١٩.
٤٦) قاسم الشواف، ديوان الأساطير سومر وأكاد وآشور، الكتاب الثالث، ص٣٤٦.
٤٧) صلاح سلمان الجبوري، ادب الحكمة في وادي الرافدين، دار الشؤون الثقافية العامة، (بغداد/٢٠٠٠)، ص ص٢٣٤-٢٣٥.
٤٨) احيقار حكيم آشوري عمل وزيراً للملك سنحاريب؛ للمزيد ينظر: سهيل قاشا، الحكمة في وادي الرافدين، دار الرافدين، (بيروت/٢٠٠٦)، ص١٢٥.
٤٩) صلاح سلمان الجبوري، ادب الحكمة في وادي الرافدين، ص٢٣٤.

٥٠) رينيه لابات، المعتقدات الدينية في بلاد وادي الرافدين، ترجمة: البير ابونا ووليد الجادر، جامعة بغداد، (بغداد/)، ص٤١٤.

٥١) الإله نابو الابن الأكبر للإله مردوخ عُرِفَ بحكمته وعلمه بالكتابة؛ للمزيد ينظر: تقي الدباغ، الفكر الديني القديم، دار الشؤون الثقافية العامة، (بغداد/١٩٩٢)، ص٢٤.

٥٢) الإله ننورتا أبن الإله انليل؛ للمزيد ينظر: المصدر نفسه والصفحة.

٥٣) الإله نركال من بين آلهة الشفاء من المرض والموت؛ للمزيد ينظر: المصدر نفسه، ص٢٣.

٥٤) رياض عبد الرحمن الدوري، آشور بانيبال سيرته ومنجزاته، دار الشؤون الثقافية العامة، (بغداد/٢٠٠١)، ص٤٢.

٥٥) جون اوتس، بابل تاريخ مصور، ترجمة: سمير عبد الرحيم الجلبي، دائرة الآثار والتراث، (بغداد/١٩٩٠)، ص٢٥٢.

٥٦) قاسم الشواف، ديوان الأساطير سومر وأكاد وآشور، الكتاب الثالث، ص٣٧٦.

٥٧) المصدر نفسه، ص٣٧٧.

٥٨) الإله ايا عند الاكديين وعرف بانكي عند السومريين إله الأرض والمياه العميقة؛ ينظر: تقي الدباغ، الفكر الديني القديم، ص١٩.

٥٩) رينيه لابات، المعتقدات الدينية في بلاد وادي الرافدين، ص٣٧٩.

٦٠) قاسم الشواف، ديوان الأساطير سومر وأكاد وآشور، الكتاب الثالث، ص٣٤٤.

٦١) عامر سليمان، الكتابة المسمارية، دار الكتب للطباعة والنشر، (الموصل/٢٠٠٠)، ص١٠٣.

٦٢) هاري ساكز، الحياة اليومية في العراق القديم، ترجمة: كاظم سعد الدين، دار المأمون، (بغداد/٢٠١٠)، ص١١٧.

٦٣) قاسم الشواف، ديوان الأساطير سومر وأكاد وآشور، الكتاب الثالث، ص٣٠٥.

٦٤) المصدر نفسه، ص٣١٦.

٦٥) المصدر نفسه، ص٣١٣.

٦٦) هنا بدأ التاريخ، ترجمة: ناجية المراني، منشورات دار الجاحظ، (بغداد/١٩٨٠)، ص١٧.

٦٧) سامي سعيد الاحمد، السومريون وتراثهم الحضاري، منشورات الجمعية التاريخية العراقية، (بغداد/١٩٧٥)، ص١٠٧.

٦٨) قاسم الشواف، ديوان الأساطير سومر وأكاد وآشور، الكتاب الثالث، ص٣١٠.

٦٩) المصدر نفسه والصفحة.

٧٠) سامي سعيد الاحمد، السومريون وتراثهم الحضاري، ص١٠٩.

٧١) قاسم الشواف، ديوان الأساطير سومر وأكاد وآشور، الكتاب الثالث، ص٣١٢.

٧٢) عامر سليمان، الكتابة المسمارية، ص٩٨.

٧٣) جون اوتس، بابل تاريخ مصور، ص٢٤٩.

٧٤) وليد الجادر وعبد الإله فاضل، دور العلم والمعرفة في العراق القديم، مجلة المورد، ص٨٤.

٧٥) المصدر نفسه والصفحة.

٧٦) جون اوتس، بابل تاريخ مصور، ص٢٤٧.

٧٧) قاسم الشواف، ديوان الأساطير سومر وأكاد وآشور، الكتاب الثالث، ص٣٧٧.

٧٨) جون اوتس، بابل تاريخ مصور، ص٢٤٩.

٧٩) وليد الجادر وعبد الإله فاضل، دور العلم والمعرفة في العراق القديم، مجلة المورد، ص٨٧.

٨٠) ديودروس الصقلي مؤرخ شهير؛ للمزيد ينظر: طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات، ج١، ص١٢٧.

٨١) مرغريت روثن، علوم البابليين، ترجمة: يوسف حبي، دار الرشيد، (بغداد/١٩٨٠)، ص٣٥.

٨٢) جميلة خالفي، التعليم والمدارس التعليمية في بلاد الرافدين، رسالة ماجستير، (الجزائر/٢٠١٧)، ص١٠٨.

٨٣) ليو اوبنهايم، بلاد ما بين النهرين، ترجمة: سعدي فيضي عبد الرزاق، وزارة الثقافة والاعلام، (بغداد/١٩٨١)، ص ص٣١٣-٣١٤.

٨٤) نُفّر أولى مدن الحد الشمالي لبلاد سومر؛ للمزيد ينظر: طه باقر، مقدمة، ص٧٥.

٨٥) هناك اتجاه يقول بأن مناطق جنوب العراق قد شهدت وجود ثلاثة لغات مؤكدة هي اللغة السومرية واللغة الجزرية الشرقية واللغة الموزية وهي لغة مناطق شمال العراق وجبال زاكروس التي وجدت لها حضوراً في جنوب البلاد في الألف الثالثة ومنتصف الألف الثاني بدليل الاسماء التي نطقت بها مثل زبابا تسمية إله مدينة كيش وكذلك الإلهة إنانا إلهة مدينة الوركاء إلى جانب احتمالية وجود أربعة لغات إذا ما تأكد وجود لغة الفراتيون الأوائل؛ ينظر: ديكانوف ي. م. وآخرون، تاريخ الشرق القديم...، ص١٤٥.

٨٦) ليو اوبنهايم، بلاد ما بين النهرين، ترجمة: سعدي فيضي عبد الرزاق، دار الرشيد للنشر، (بغداد/١٩٨١)، ص٣١٥.

٨٧) قاسم الشواف، ديوان الأساطير سومر وأكاد وآشور، الكتاب الثالث، ص٣٤٥.

٨٨) محمد جاسم محمد علي، المدارس في العراق القديم، مجلة ثقافتنا، ع٨، وزارة الثقافة، (بغداد/٢٠١٠)، ص١٧٢.

٨٩) قاسم الشواف، ديوان الأساطير سومر وأكاد وآشور، الكتاب الثالث، ص ص٣١٠-٣١١.

٩٠) المصدر نفسه، ص٣١١.

٩١) داليا فوزي الانصاري، الأسرة العراقية القديمة في ضوء النصوص المسمارية، كتاب مطبوع بلا دار ومكان نشر، (٢٠٢٠)، ص١٠٦.

٩٢) محمد جاسم محمد علي، المدارس في العراق القديم، مجلة ثقافتنا، ص١٧٣.

٩٣) قاسم الشواف، ديوان الأساطير سومر وأكاد وآشور، الكتاب الثالث، ص٣١٤.

٩٤) جميلة خالفي، التعليم والمدارس التعليمية في بلاد الرافدين، ص١٥٣.

٩٥) المصدر نفسه، ص١٥٤.

٩٦) سنكا كاهن له مهام مختلفة في المعبد بحسب الأزمان في العراق القديم؛ للمزيد ينظر: ليث مجيد حسين، الكاهن في العصر البابلي القديم، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، (١٩٩١)، ص٢٧.

٩٧) المصدر نفسه، ص ص١٤٥-١٤٦.

٩٨) هاري ساكز، عظمة بابل، ص٢١٣.

٩٩) اوبنهايم، بلاد ما بين النهرين، ص٣١٢.

١٠٠) جميلة خالفي، التعليم والمدارس التعليمية في بلاد الرافدين، ص١٥٧.

١٠١) مرغريت روثن، علوم البابليين، ص٣٦.

١٠٢) قاسم الشواف، ديوان الأساطير سومر وأكاد وآشور، الكتاب الثالث، ص٣٥٦.

١٠٣) المصدر نفسه، ص ص٣٠٤-٣٠٥.

١٠٤) مدينة سبار وتعرف محلياً بأبو حبة ٢٠ ميل من بغداد وهي إحدى مدن ما قبل الطوفان الأربعة؛ للمزيد ينظر: دروثي مكاي، مدن العراق القديم، ترجمة: يوسف يعقوب مسكوني، ط٢، مطبعة شفيق، (بغداد/١٩٥٢)، ص٢٨.

١٠٥) حكمت بشير الاسود، الرموز الفكرية في حضارة وادي الرافدين، ، ص١٨٧.

106) Paul Delnero, Variation in Sumerian Literary Composition A Case Study Based on the Decad, Adissertation in Near Eastern Languages and Civilizations Presented to the Faculties of the University of Pennsylvania in Partial Fulfillment of the Requirements For the Degree of Doctor of Philosophy, (2006), p46.

١٠٧) مدينة كيش وتعرف بتل الأحيمر شرقي بابل؛ للمزيد ينظر: مكاي، مدن العراق القديم، ص٣١.

١٠٨) مدينة بورسبا من بين مدن بابل؛ للمزيد ينظر: المصدر نفسه، ص٤٩.

١٠٩) مدينة الوركاء أو ارك على الضفة الغربية لنهر الفرات؛ للمزيد ينظر: المصدر نفسه، ص٦١.

١١٠) حكمت بشير الاسود، الرموز الفكرية في حضارة وادي الرافدين، ص ص١٨٧-١٨٨.

111) Paul Delnero, Variation in Sumerian Literary Composition ..., p43.

١١٢) جميلة خالفي، التعليم والمدارس التعليمية في بلاد الرافدين، ص ص١٥٦-١٥٧.

١١٣) وليد الجادر وعبد الإله فاضل، دور العلم والمعرفة في العراق القديم، مجلة المورد، ص٨٩.

١١٤) جميلة خالفي، التعليم والمدارس التعليمية في بلاد الرافدين، ص١٥٧.

١١٥) المصدر نفسه والصفحة.

١١٦) في آشور تأكد وجود المدارس إذ جاء ذكر نص لمجموعة في مدينة تقع شرقي بلاد آشور تدعى (كتبة كاليزِ) يتعلم فيها التلاميذ فن الكتابة دون ذكر تعلم أمور أخرى؛ ينظر: هاري ساكز، قوة آشور، ص٢٠٩.

١١٧) قاسم الشواف، ديوان الأساطير سومر وأكاد وآشور، الكتاب الثالث، ص٤٠٣.

١١٨) رياض عبد الرحمن الدوري، آشور بانيبال سيرته ومنجزاته، ص٤٣.

١١٩) المصدر نفسه، ص٤٤.

١٢٠) ثلماستيان عقراوي، المرأة دورها ومكانتها في حضارة وادي الرافدين، ص ص٢٠٠-٢٠١.

١٢١) المصدر نفسه، ص٢٠٢.

١٢٢) ثلماستيان عقراوي، المرأة دورها ومكانتها في حضارة وادي الرافدين، ص ص٢٠٢-٢٠٣.

١٢٣) عامر سليمان، الحياة الاجتماعية والخدمات في المدن العراقية في الازمنة التاريخية القديمة في المدينة والحياة المدنية، ج١، ص٢١٣.

١٢٤) دانيال تي بوتس، حضارة وادي الرافدين الأسس المادية، ترجمة: كاظم سعد الدين، الهيئة العامة للآثار والتراث، (بغداد/٢٠٠٦)، ص٣٤٣.

١٢٥) مارتن ليفي، الكيمياء والتكنولوجيا الكيميائية في وادي الرافدين، ترجمة وتعليق وتقديم: محمود فياض وآخرون، دار الرشيد للنشر، (بغداد/١٩٨٠)، ص٤٠.

١٢٦) هـ فرانكفورت وآخرون، ما قبل الفلسفة، ترجمة: جبرا ابراهيم جبرا، دار

مكتبة الحياة، (بغداد/١٩٦٠)، ص ص١٤٨-١٤٩.

١٢٧) صموئيل نوح كريمر، الأساطير السومرية، ترجمة: يوسف داود عبد القادر، جمعية المترجمين العراقيين، (بغداد/١٩٧١)، ص١١٠.

١٢٨) جميلة خالفي، التعليم والمدارس التعليمية في بلاد الرافدين، ص ص١٥٨.

١٢٩) وليد الجادر وعبد الإله فاضل، دور العلم والمعرفة في العراق القديم، مجلة المورد، ص٨٧.

١٣٠) ف. فون زودن، مدخل إلى حضارات الشرق القديم، ترجمة: فاروق اسماعيل، دار المدى للثقافة، (دمشق/٢٠٠٣)، ص١١٧.

١٣١) فاضل عبد الواحد وعامر سليمان، عادات وتقاليد الشعوب القديمة، دار الكتب للطباعة والنشر، (بغداد/١٩٧٩)، ص٩٩.

١٣٢) عامر سليمان، الحياة الاجتماعية...في المدينة والحياة المدنية، ج١، ص١٩١.

١٣٣) فوزي رشيد، الفكر عبر التاريخ، سينا للنشر، (القاهرة/١٩٩٥)، ص١١٢.

١٣٤) حكمت بشير الاسود، مبدأ التبني في العراق القديم، مجلة سومر، مج٤٤، (١٩٨٥-١٩٨٦)، ص٧٦.

١٣٥) رضا جواد الهاشمي، نظام العائلة في العهد البابلي القديم، ص١٧٧.

١٣٦) جميلة خالفي، التعليم والمدارس التعليمية في بلاد الرافدين، ص١٥٨.

١٣٧) هورست كلنغل، حمورابي ملك بابل وعصره، ترجمة: غازي شريف، دار الشؤون الثقافية العامة، (بغداد/١٩٨٧)، ص١٧٩.

١٣٨) وليم هـ مسينيل، مقارنة القوانين في شريعة حمورابي وأصل التشريع في الشرق القديم، ترجمة: أسامة سراس، ط٦، دار علاء الدين، (دمشق/٢٠١١)، ص١٢٢.

١٣٩) فوزي رشيد، الشرائع العراقية القديمة، دار الحرية للطباعة، (بغداد/١٩٧٣)، ص١٢٥.

١٤٠) هاري ساكز، قوة آشور، ص٢٠٩.

141) C. H. w. Johns, Babylonian and Assyrian Laws Contracts and Letters, Charles Scribnr's Sons, (New York/1904), p169.

١٤٢) هاري ساكز، الحياة اليومية في العراق القديم، ص ص١١٩-١٢٠.

١٤٣) سامي سعيد الاحمد، السومريون وتراثهم الحضاري، ص١٠٦.

١٤٤) د. ج. وايزمان، بابل وآشور مركزان علميان قديمان، مجلة سومر، مج٤١، (١٩٨٥)، ص١٠٠.

١٤٥) مرغريت روثن، علوم البابليين، ص٣٧.

١٤٦) وليد الجادر وعبد الإله فاضل، دور العلم والمعرفة في العراق القديم، مجلة المورد، ص٨٤.

١٤٧) المصدر نفسه، ص٨٧.

١٤٨) جان باتيرو، بلاد الرافدين الكتابة – العقل – الآلهة، ترجمة: البير ابونا، مراجعة: وليد الجادر، دار الشؤون الثقافية العامة، (بغداد/١٩٩٠)، ص١١٩.

١٤٩) دانيال تي بوتس، حضارة وادي الرافدين الأسس المادية، ترجمة: كاظم سعد الدين، الهيئة العامة للآثار والتراث، (بغداد/٢٠٠٦)، ص٣٤٢.

150) Eleanor Robson, The uses of mathematics in ancient Iraq, 6000–600 BC, Dordrecht: Kluwer Academic Publishers, 2000, p1.

١٥١) بول فريشاور، الجنس في العالم القديم الحضارات الشرقية، ترجمة: فائق دحدوح، ط٣، دار علاء الدين، (دمشق/٢٠٠٧)، ص٥٨.

١٥٢) إي أي سبايزر، حضارة وادي الرافدين نور لا يخبو، ترجمة: كاظم سعد الدين، دار الشؤون الثقافية العامة، (بغداد/٢٠٠٤)، ص٥٤.

١٥٣) صموئيل نوح كريمر، إينانا ودُموزي طقوس الجنس المقدس عند السومريين، ترجمة: نهاد خياطة، ط٢، دار علاء الدين، (دمشق/٢٠٠٧)، ص ص٣١-٣٢.

١٥٤) قاسم الشواف، ديوان الأساطير سومر وأكاد وآشور، الكتاب الثالث، ص٣١٦.

١٥٥) فاضل عبد الواحد علي، من سومر إلى التوراة، ط٢، سينا للنشر، (القاهرة/١٩٩٦)، ص٩٨.

١٥٦) مارغريت روثن، تاريخ بابل، ترجمة: زينة عازار وميشال ابو فاضل، ط٢، منشورات عويدات، (بيروت–باريس/ ١٩٨٤)، ص٧٣.

١٥٧) جميلة خالفي، التعليم والمدارس التعليمية في بلاد الرافدين، ص١٥٦.

١٥٨) عامر سليمان، الكتابة المسمارية، ص١٠٤.

١٥٩) المصدر نفسه، ص١٠٥.

١٦٠) المصدر نفسه، ص١٠٦.

١٦١) وليد الجادر وعبد الإله فاضل، دور العلم والمعرفة في العراق القديم، مجلة المورد، ص٩٢.

١٦٢) هاري ساكز، الحياة اليومية في العراق القديم، ص١٢١.

١٦٣) المصدر نفسه والصفحة.

١٦٤) ماكس مالوان وآخرون، الكتابة والتطور الحضاري في العراق القديم، ترجمة وتقديم: كاظم سعد الدين، دار الشؤون الثقافية العامة، (بغداد/٢٠١١)، ص٦٤.

١٦٥) هنري فرانكفورت، فجر الحضارة في الشرق الأدنى، ص٦٧.

١٦٦) نيكولاس بوستغيت، حضارة العراق وآثاره تاريخ مصور، ترجمة: سمير عبد الرحيم الجلبي، دار المأمون، (بغداد/١٩٩١)، ص٦٨.

١٦٧) قيس حاتم الجنابي وجلال عزيز البرقعاوي، الجودة في نظم التربية والتعليم لحضارة بلاد الرافدين، مجلة حضارات الشرق الدنى القديم، ع٢، (مصر/٢٠١٦)، ص١١.

١٦٨) وليد الجادر وعبد الإله فاضل، دور العلم والمعرفة في العراق القديم، مجلة المورد، ص٨٣.

١٦٩) هاري ساكز، الحياة اليومية في العراق القديم، ص١٢٣.

١٧٠) حكمت بشير الاسود، الرموز الفكرية في حضارة وادي الرافدين، ص١٩١.

١٧١) صموئيل نوح كريمر، من ألواح سومر، ترجمة: طه باقر، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، (القاهرة/١٩٥٧)، ص١٢٩.

١٧٢) مارتن ليفي، الكيمياء والتكنولوجيا الكيميائية في وادي الرافدين، ترجمة وتعليق وتقديم: محمود فياض المياحي، دار الرشيد للنشر، (بغداد/١٩٨٠)، ص٢٠٤.

١٧٣) بلخير بقة، أثر ديانة وادي الرافدين على الحياة الفكرية سومر وبابل (٣٢٠٠-٥٣٩ ق. م)، رسالة ماجستير، (الجزائر/٢٠٠٩)، ص١٢٢.

١٧٤) عبد اللطيف البدري، من الطب الآشوري، منشورات المجمع العلمي العراقي، (بغداد/١٩٧٦)، (١٣-٢).

١٧٥) جورج سارتون، تاريخ العلم، ج١، ص ص١٨٢-١٨٣.

١٧٦) المصدر نفسه، ص١٨٣.

١٧٧) مارتن ليفي، الكيمياء والتكنولوجيا الكيميائية في وادي الرافدين، ص ص٤٥-٤٦.

١٧٨) دانيال تي بوتس، حضارة وادي الرافدين الأسس المادية، ص١١٨.

١٧٩) مدخل إلى حضارات الشرق القديم، ترجمة: فاروق اسماعيل، دار المدى للثقافة، (دمشق/٢٠٠٣)، ص١١٠.

١٨٠) صموئيل نوح كريمر، من ألواح سومر، ص١٣٩.

١٨١) جون اوتس، بابل تاريخ مصور، ص٢٩٤.

١٨٢) حكمت بشير الاسود، مبدأ التبني في العراق القديم، مجلة سومر، مج٤٤، ص٧٣.

١٨٣) رينيه لابات، المعتقدات الدينية في بلاد وادي الرافدين، ص٣٦٦.

١٨٤) هاري ساكز، قوة آشور، ص٢٣٠.

١٨٥) صبحي انور رشيد، الموسيقى في العراق القديم، دار الشؤون الثقافية العامة، (بغداد/١٩٨٨)، ص٤٤.

١٨٦) المصدر نفسه،ص٤٥.

١٨٧) بلخير بقة، أثر ديانة وادي الرافدين على الحياة الفكرية سومر وبابل (٣٢٠٠-٥٣٩ ق. م)، ص١٦١.

١٨٨) المصدر نفسه، ص ص١٦١-١٦٢.

١٨٩) صبحي انور رشيد، الموسيقى في العراق القديم، ص٤٥.

١٩٠) حكمت بشير الاسود، مبدأ التبني في العراق القديم، مجلة سومر، مج٤٤، ص١٩٠.

١٩١) صموئيل نوح كريمر، الأدب السومري أقدم القَصَص في تاريخ البشرية في حضارة وادي الرافدين (سومر-آشور- بابل) سبعة آلاف سنة من الفن والحضارة، ص ص١٤٧-١٤٨.

١٩٢) ليث مجيد حسين، الكاهن في العصر البابلي القديم، رسالة ماجستير، ص٩١.

١٩٣) اندريه بارو، بلاد آشور، ترجمة وتعليق: عيسى سلمان وسليم طه التكريتي، دار الرشيد للنشر، (بغداد/١٩٨٠)، ص٣٢٤.

١٩٤) صبحي انور رشيد، الموسيقى في العراق القديم، ص٤١.

١٩٥) رضا الهاشمي، النظام الكهنوتي في العراق القديم، ص٢٧٤.

١٩٦) ليث مجيد حسين، الكاهن في العصر البابلي القديم، ص١٤٨.

١٩٧) فوزي رشيد، المعتقدات الدينية في حضارة العراق، ج١، دار الحرية للطباعة، (بغداد/١٩٨٥)، ص١٨٨.